

البحث اللغوي الغربي والعربي

عبر التاريخ

د/ شاكر عبد القادر(*)

كلّ عالم وكلّ مثقّف يدرك أهمية الأبحاث ودورها الإيجابي في الرقي الحضاري والفكري، والعلمي، والتكنولوجي، الذي أصبحت تلعبه ولاسيما في وقتنا الحاضر في جميع مجالات المعارف العلمية التجريبية، والعقلية، والأدبية، ففي زمن أضحى البحث العلمي الأكاديمي عند الدول الغربية والشرقية يمثل عصب حياتها العلمية والفكرية والاقتصادية والتجارية. لهذا بات من الضروري على أمتنا العربية والإسلامية وبالخصوص ذوي القرار النافذ تشجيع المثقفين والجامعين، والخبراء، وتحفيز الشباب المبدع التواق إلى البحث والابتكار في مختلف الميادين، قصد الالتحاق بالركب العالمي المتطور علميا، وتكنولوجيا، واقتصاديا. فالعصر عصر إبداع وإبكار، والحياة فيه للأقوياء في جميع المجالات. و من حقّ كلّ مثقّف، ومن كلّ قارئ عربي في أيامنا هذه معرفة حقيقة مسار البحث عامة، والبحث اللغوي في أقطارنا العربية بخاصة إلى أين يسير؟، ومماكانته، وسلّمه، ودرجته بين الأمم المتحضرة في زمننا

(*) أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات - جامعة ابن

خلدون - تيارت - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الرائه، أنحو التطور والتجديد، وتحقيق ما نتمناه أمّتنا العربيّة والإسلامية وقراؤها ومتقفوها من وراء تطور البحث عامّة والبحث اللغوي بخاصّة.

وهنا أريد أن أنحو بموضوعي هذا إلى تناول البحث اللغوي بالتحديد عبر التاريخ، عند العرب وبعض الأمم المتحضرة التي سبقتهم، وأترك بقية المناهج الأخرى لأهل الاختصاص. إن أهم ما يميز البحث اللغوي في الوطن العربي الكبير مشرقه ومغربيه خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، من خلال قراءتنا متون بعض الكتب المتداولة بين أيدي القراء العرب، وبعض الرسائل الجامعية المخطوطة التي هي من إنتاج الطّلاب الباحثين، و التي لم يكتب لها نور النّشر بعد، لسبب ما، فهذا الرصيد المعرفي اللغوي المطبوع وغير المطبوع هو في حقيقة الأمر ثروة وزاد علمي ومعرفي يبشر بمستقبل منير، وفجر مضيء لأمتنا العربيّة، وغذاء عقلي لمن يرغب أن يتسلح بتقنيات العلم والتّعلم، وهو ثروة ما بعدها ثروة لا تتضب مهما أقبل عليها طلاب الحاجة، وهي ملك وإرث للأجيال الحالية، والآتية للطلبة الباحثين الراغبين في الإقبال على البحوث، كيف لا؟ والمتصفّح للبحث اللغوي العربي الحديث، فإنّه يدرك الصّبغة التّجديدية التي تميّزه بموضوعات على مختلف أغراضها، والأساليب التي استخدمت في معالجة تلك الموضوعات، أو المناهج التي وظّفت في إنجازها، وفي مقدّمها المنهج اللغوي. والمراد بالمنهج اللغوي، هو المنهج الموضوعي الذي يصف الحقائق كما هي، والذي أصبح يخص الدّرس اللغوي لعدة اعتبارات، والتحرر من الطريقة الكلاسيكية التقليدية التي ظلت مهيمنة على البحث اللغوي لقرون عديدة.

وإذا أمعنا النظر ملياً في جوهر مضامين الكتب اللغوية في صميمها وعمقها، كالتّي تناولت مادة فقه اللغة، أو تناولت مادة النّحو والصّرف في شكل سياقي، أو نسقي، أو التّي تناولت اللّسانيات العامّة والتّطبيقيّة، أو اللهجات، أو كتلك التّي تناولت الدّلالة بشكل عام، والدّرس البلاغي، والأسلوبية بشكل خاص، فإنّها تعدّ بمئات العناوين المطبوع منها في كلّ قطر، ناهيك عن الرّسائل التّي لا زالت مخطوطة. وإنّصافاً للحق، وعرفاناً لأهل الفضل، فإنّ ظهور البحث اللغوي في ثوبه الجديد، في ربوع جامعاتنا العربيّة، فإنّه يعود إلى بعض الأقطار العربيّة المشرقيّة تحديداً، بحيث كانت تلك الأقطار سبّاقة في رفع لواء إحياء، وتجديد الدراسات اللغويّة والأدبيّة والنقدية، وتحديثها وفق ما أستجد من مناهج علميّة معاصرة، وبفضلها أشرق شعاع هذه الصّحوة الفكرية إنطلاقاً من ربوع أرض مصر، والشّام، ولبنان، والعراق، فأضاء ذلك الفجر بنوره السّاطع أصقاع الأقطار العربيّة إلى أن عمّ بقية البلدان العربيّة كلّها.

وإذا كان البحث اللّغوي في ثوبه التّجديدي المعاصر كغيره من البحوث الأدبيّة والعلميّة الأخرى، فهو الذي يثير حافظة المهتمين والمنشغلين بتطويره وازدهاره، فمن حقّ القارئ العربي أن يسأل ما المقصود بعلم اللغة الحديث؟ وما هو مساره؟ أهو التّصل من الدرس اللغوي التّراثي؟ أم هو امتداد له وإضافة إليه في المنهج والأسلوب والدّراسة؟ وقد نحاول الإجابة باختصار على حسب ما يراه أهل هذا الاختصاص من علماء وباحثين لغويين محدثين ومعاصرين.

ونبدأ الحديث بالتعريف اللغوي، ثم الاصطلاحي بشكل مختصر جداً للكلمات الثلاثة "العلم - اللغة - الحديث". العلم نقيض الجهل، وعلم عالماً، وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم: من صار يمتلك العلوم الدينية أو الدنيوية، وعلمت الشيء أعلمه عالماً، عرفته، وعلم وفقه: أي تعلم وتفقه. (1)

أما العلم من حيث الاصطلاح: فهو في قول الدكتور عبد العزيز مطر علم خاص، وعلم عام في شقّه الخاص: فهو ما يعبر عنه بالمصطلح (Science) (كعلم الفيزياء والكيمياء، والنبات. وأهمّ ما يخص أو ما يميز العلم خمس خصائص، هي:

١- الموضوع، ٢- والمنهج، ٣- والوسيلة، ٤- والهدف، ٥- ودقة القوانين.

والعلم بمعناه العام: أي مجموع المسائل والأصول الكلية التي تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم الأرض، وعلم الكونيات وعلم الآثار. (2)

تعريف كلمة لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) في تعريف "لفظة لغة": "اللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم، واللغة: اللّسن (3)" وقال ابن جنّي ت ٣٩٢هـ: "أما تصرّيفها ومعرفة حروفها فإنّها فُعْلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها لغوة ككُرة وقُلّة. (4)" وورد في هذا السياق نفسه لمفهوم كلمة لغة والمراد بها كلمة: قال صلى الله عليه وسلم بشأن الآداب في

المسجد يوم الجمعة: "من مس الحصى فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له. لغا أي تكلم".

أصل كلمة لغة

إنَّ أصل كلمة لغة يرجع إلى أصل سامي، إنها من الكلمة اليونانية (Logos) ومعناها كلام، وقد دخلت الكلمة إلى العربية في وقت مبكر، ولكن أرباب هذا الفن تحدثوا أيضاً عن اللغة بالمعنى الاصطلاحي، الذي نعرفه اليوم لكلمة: كلام، قالوا لغته فاسدة أو لغته جيدة. ثم تغيرت دلالة هذه الكلمة في العربية إلى أن حلت شيئاً فشيئاً محل كلمة لسان⁽⁵⁾.

تعريف علم اللغة الحديث في شقه الاصطلاحي

تعددت التعاريف الاصطلاحية لهذا العلم الحديث بتعدد المراجع التي تناولت المسألة، لكنّها تلتقي في المفهوم والمعنى بشكل عام. ويقول الدكتور محمود فهمي حجازي تحت عنوان "علم اللغة الحديث": (علم اللغة في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي، وتدرس اللغة في إطار علم اللغة في المجالات الآتية: أ- الأصوات، ب- بناء الكلمة الصرف، ج- بناء الجملة، النحو)، د- المفردات ودلالاتها⁽⁶⁾.

إنَّ تعريف الدكتور عبد العزيز مطر في مستهل هذا السياق أوسع وأشمل من التعريف السابق. جاء عنه: "علم اللغة: هو العلم الذي يدرس اللغة أو

اللهجة، دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والاشتقاقية؛ والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وترابطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع، وبالبيئة الجغرافية. (7)

تاريخ ظهور البحث اللغوي

إن الحديث عن تاريخ ظهور البحث اللغوي طويل جداً، وقد يطول بنا مقام سرد مراحل الزمنية عبر التاريخ القديم والحديث. وكيفية تطوره عبر تلك الحقب من القرون الغابرة إلى أن ظهر في شكله الحديث والمعاصر منذ القرن التاسع عشر، وفي غرب أوروبا تحديداً. ولا مانع من أن نعطي لمحة عن تاريخ بداية البحث اللغوي قديماً وحديثاً في شكل مختصر جداً، معتمدين في التحديد على الكتب اللغوية التي عالجت الموضوع بشكل دقيق ومحدد.

إن ظهور الدرس اللغوي ليس جديد العهد، وإنما يعود تاريخ نشأته إلى قرون قبل الميلاد. إذ تتفق جل آراء الباحثين اللغويين والمؤرخين على أن الدرس اللغوي بدأ أول ما بدأ عند: ١- الهنود في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد، على يد بعض اللغويين الهنود وعلى رأسهم إمام نحويهم بانيني (PANINI). فظهور السنسكريتية التي هي أساس أداة الأدب "الفيدى" الكتاب المقدس لديانة الهنود، ولعل اهتمامهم بدراسة لغتهم في هذا الوقت المبكر كان لغرض ديني في المقام الأول من أجل قراءة نصوص الفيدا قراءة صحيحة.

وجاءت دراستهم للغتهم على درجة عالية من التنظيم، والدقة، واشتملت هذه الدراسة على علم اللغة، وفروعها من دراسة الأصوات، والاشتقاق، والنحو والمعاجم، وفقه اللغة. وأهم دراسة أظهرها فيها تفوقهم: هي الدراسات الصوتية خاصة، ثم النحو، وميزوا في دراستهم بين الفعل الاسم، وحروف الجر والأدوات المتممة.

ب- أما اليونانيون فكانت دراستهم للغتهم تكاد تكون متزامنة مع دراسة الهنود، وهم بدورهم درسوا لغتهم دراسة صوتية وصفية، دون أن نجد في الكتب اللغوية أية إشارة تأثر الأولى بالثانية بعكس تأثير الرومان في الإغريق.

ويلتقي الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور محمود السّعران في تناولهما الدرس اللغوي عند اليونان. ⁽⁸⁾ بحيث يؤكدان على أن التفكير اللغوي عند اليونانيين بدأ مرتبطاً بالفلسفة، وكان اللغويون الأوائل فلاسفة، وقد كانت البداية الفعلية لدراسة لغتهم منذ زمان (أوربيدس ٤٨٠-٤٠٦ ق.م) الذي فرق بين حروف العلة والحروف الصحيحة. ثم جاء بعده أفلاطون حوالي (347 - 428 ق.م) ويعرض التحليل الصوتي لوحداث التقطيع الثاني في حوارهِ كراتيل (Cratyle) وجاء بعده (أرسطو ٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، وتناول التحليل الصوتي في كتابه "فن الشعر" وعرف الصوت "الحرف" وحدثه في اللسان والشفّتين إلى غير ذلك، غير أن دراسة الإغريق للغتهم كما يزعم جورج مونين ⁽⁹⁾ كانت تتركز على بنية اللغة ونشأتها، ولم تكن تلك الدراسة مهتمة بتطور اللغة وتنوّعها.

ج- الرومان تلامذة اليونان وورثتهم، إليهم يعود نقل بحوث اليونانيين اللغوية، وكان اليونانيون مقلدين أكثر منهم مبدعين ومجددين، ومن أشهر نحاتهم فارون (Varron) الذي عاش "في القرن الأول ق. م". ثم دوناتوس (Donatus) الذي عاش في القرن الرابع الميلادي "وبرع في صناعة النحو" ثم بريسكيان (Priscien) الذي عاش في القرن السادس الميلادي "صاحب كتاب اللغة" (10)

د- وكان العرب كغيرهم من الأمم السابقة سباقين لدراسة لغتهم، بعد أن استقر الدين الإسلامي واعتنقوه عقيدة قولاً وعملاً، وبه يتعبّدون، فكان اهتمامهم على أشده بوضع ما يحفظ المصحف الشريف ويصونه أثناء تلاوته وحفظه خشية الوقوع في اللحن والتحريف، والتصحيف، في زمن أخذ فيه الاختلاط يعمّ الجزيرة العربية جمع الأعجام والعرب الخلص بسبب وحدة الإسلام، والذين الجديد الذي يدعو إلى الوحدة والإخاء. ولم يلبث الرجال المخلصون لعقيدتهم الإسلامية، والغيورون على لغتهم العربية التي بها نزل القرآن الكريم، أن دفعتهم فطرتهم الذاتية وإيمانهم القوي، فهبوا لوضع قواعد في الإعراب في بادئ الأمر كمرحلة أولى لتصون الألسنة من الوقوع في اللحن الذي أخذ يتفشى حتى في بيوت الأشراف من العرب وعلماء الأدب.

وكانت دراستهم للعربية قد انطلقت في بداية أمرها من الظاهرة الصوتية، والنحوية المتمثلة في تنقيط المصحف الشريف تنقيط إعراب من قبل أبي الأسود (ت ٦٩هـ) بداية لمرحلة سوف تكون مرحلة الازدهار الدرس اللغوي في جميع خصائصه وتخصصاته، من دراسة مفردات أو دلالة، ونحو وصرف ودراسة صوتية، وبلاغية، أو غيرها كالتّي تخدم العربية وكتاب الله؛

لأنّ هذه الفترة شهدت الإقبال على دراسة العلوم الدّينية من تفسير لكلام الله، والوقوف على غريب القرآن، ودلائل الإعجاز الرّبّاني، مع ظهور القراءات القرآنية، فكانت مسألة الدّراسات اللغوية المرتبطة مكّملة بل هي في خدمة العلوم الدّينية، وظهر رجال كثيرين برعوا وتفوقوا في التّأليف والتّعيد اللغوي والصوتي والبلاغي: نذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر، كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠هـ)، ويونس بن حبيب (١٨٣هـ)، (مروراً بأحمد بن فارس (ت 392هـ)، وابن جني (ت ٣٩٥هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، والسكاكي (ت ٦٢٦هـ)، وغيرهم من كبار العلماء الذين قدموا خدمات جليلة للعربية ومجالات الدراسة بصفة عامة.

إن الحديث عن اللغة طويل، ولا يمكن اختزاله في بضع صفحات مهما اختصرنا الكلام، وتجنباً لإطالة الموضوع، فإنّنا نتخطّى الحديث عن ركّام القرون الوسطى كلّها، ونجول في عهد النّهضة الفكرية الأدبية، والعلمية، إنّهُ العهد الذي يطلق عليه عصر التّنوير، وما يليه. ومع بداية النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر للميلادي شهد البحث اللغوي تطوّراً وتجديداً لم يسبق له مثيل من قبل على يد ثلّة من الباحثين الغربيين الإنجليز، والفرنسيين، والألمان، والإيطاليين، وغيرهم من بعض الأقطار الأوروبية، ثم وصل الأمر فيما بعد إلى قارة أمريكا.

كانت الدّراسات اللّغوية في الغرب قد عرفت طريق الانتعاش، والازدهار منذ أن توصّل "فردريك أوجست ولف" الذي يرجع إليه الفضل إلى ابداع النّقد المقارن للنّصوص القديمة المكتوبة في سنة (١٧٧٧م)، ^(١١) وكان هذا

المنهج في رأي الدارسين اللغويين عاملاً رئيساً أُقيم على ضوئه تصنيف اللغات إلى أسر ومجموعات رئيسة وفرعية. ثم زادت البحوث اللغوية تطوراً وشهرة، وذلك بعدما تمّ الكشف عن اللغة السنسكريتية على يد العلامة الإنجليزي اللغوي وليام جونز في (١٧٨٦م) فكانت هذه اللغة محل ميدان دراسة للمنهج المقارن الذي أصبح مستقل بدراسة السنسكريتية، ودرس جونز هذه اللغة واللغة الأوربية وما يوجد بينهما من شبه في ظلّ المنهج المقارن، إلى أن توصل كما يزعم إلى أن السنسكريتية هي أم اللغات الهند أوربية، ولم تقف الدراسة عند هذا الحد، بل تطورت البحوث اللغوية، وتنوّعت في خضمّ مناهج البحث اللغوي الحديث، تلك المناهج التي احتضنت دراسة اللغات وشجرة أنسابها، ولم تستثن اللغة العربية وأخواتها السامية، كالعبرية، والفينيقية، والأكدية، والحبشية، وأثبت العلماء وجود شبه وتقارب بين هذه اللغات في كثير من الأمور الفرعية النحوية واللغوية والاشتقاقية والدلالية فقالوا إنّها تنتمي إلى أسرة واحدة.

ويرى النقاد اللغويون المحدثون أن اكتشاف اللغة السنسكريتية وتطبيق المنهج المقارن هما عاملان أساسيان في تثبيت وترسيخ وتطوير الدراسات اللغوية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وظلّ المنهج المقارن مسيطراً في ميدان البحث اللغوي إلى أن ظهرت النظرية التطورية الداروينية في حدود (١٨٧٠م). وتأثر بها بعض علماء العرب كغيرهم، وزعمت أن اللغة كسائر الكائنات الحية الطبيعية المتغيرة، ولا سيما عالم الحيوان والنبات تشهد تغيرات وتطورات، مثلها مثل كل الكائنات تولد ألفاظ وتموت ألفاظ. وأثبت الألمان تفوقهم في تطوير البحث اللغوي خلال القرن التاسع عشر كغيرهم من الفرنسيين والإنجليز. وما إن دخل القرن العشرين حتى

شهد الدرس اللغوي منعطفاً جديداً، ودراسة معمقة، وتطويراً في المنهج والأسلوب، وبخاصة عندما ظهر العالم اللغوي السويسري فرديناند سوسير (Saussure 1857-1913) الذي يعتبره الدارسون المحدثون الإمام والمعلم الحقيقي الذي فجر الدرس اللغوي، وفهم اللسانيات على حقيقتها، ووضح اختصاصاتها، وبين مناهجها وحدودها، وهو من رفع شعار دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وطبق عليها المنهج الوصفي الموضوعي.

إن بحوث دي سوسير اللغوية اللسانية أصبحت تشمل جميع مستويات اللغة على حد سواء، كالأصوات والنحو، والصرف، والمعجم، والدلالة، مستفيداً من مناهج البحث اللغوي الذي سبقته كالمناهج التاريخية، والمنهج المقارن، مضافاً إليها المنهج الوصفي الذي كان العمود الفقري في أبحاثه اللغوية. ومن الأعمال الجلية التي قام بها هذا العالم المعاصر، دراسته لللسانيات العامة وتوصُّله إلى تحديد خصائص ومفاهيم كل من اللغة (Langage)، والكلام (Parole)، والتي تدخل في جوهر الدرس اللساني أو الثنائية اللسانية، واللسانيات عنده هي منظومة اجتماعية، ودعا إلى دراسة اللسان لأنه اجتماعي وعرفي. ⁽¹²⁾

وقد تأثر دي سوسير في دراسته بإميل دوركايم، العالم الاجتماعي الفرنسي الذي كان صديقاً له ⁽¹³⁾ في مسألة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وكان دي سوسير أول لغوي في زمانه قدّم دراسة لغوية مستوفية تخص الدال والمدلول "الكلمة" لفظاً ومعنى، ورأى أنهما بمثابة وجهين لعملة واحدة لا يمكن أن ينفصلا. كما بحث في مسألة التزامن أو التعاقب وهي ثنائية تتعلق بالمناهج اللسانية منذ نهاية القرن العشرين الميلادي، والبحث اللغوي يشهد تقدماً ورقياً

أكثر من أي وقت مضى، بفضل تضافر جهود عدد كبير من اللغويين الأوربيين والأمريكيين، وحتى الروس منهم. ومع مطلع القرن العشرين وشيوع المنهج الوصفي في الدراسات اللغوية الحديثة أعطى انتعاشاً للدراسات لم يسبق له مثيل من قبل وتوسعت مجالاته إلى أن عرف طرائق عصرية في الدراسات الجديدة مثلما هو قائم عند نعيم تشمسي حالياً والنظرية "التوليدية التحويلية" أو صاحب البنى التركيبية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومدى تأثيرها في اللغويين المعاصرين في أنحاء العالم.

وفي ظل تقدم الدراسات اللغوية العربية الحديثة، واتساح مناهج البحوث اللغوية الغربية، وتعددها بتعدد مدارسها، كان ذلك عاملاً مشجعاً ومؤثراً في جيل كبير من الشباب العربي في المشرق العربي بتلك المناهج الغربية مجسداً في كتاباتهم ودراساتهم، كما كان ذلك الجيل سباقاً للاستقاء من منابع تلك البيئة الغربية، ثم استدرك المغاربة الأمر ولحقوا بالركب. وكانت مصر وبلاد الشام سباقتين متأثراتاً مباشراً، أو غير مباشر. فالتأثير المباشر يعود تاريخه في حقيقة الأمر منذ أن أوفد محمد علي والي مصر في مطلع القرن الثامن عشر أول بعثة علمية إلى باريس ولندن، وظلت هذه الرحلات قائمة إلى وقت قريب، والتأثير غير المباشر ناتج عن قيام المعاهد والمنشآت في بلاد الشام، ومصر وإنشاء جامعات غربية بتدعيم مادي مع الاحتكاك بين الثقافتين العربية والغربية، كلها تعتبر عوامل رئيسية ومؤثرة في الجيل العربي الجديد في المشرق العربي ومغربه بأي طريقة كانت.

إن الفضل الكبير في تقريب وتبسيط المناهج اللغوية المطبقة في الميدان اللغوي وغير اللغوي. لقد تم على يد ثلة من المثقفين العرب المصريين

والسوريين واللبنانيين وغيرهم من الذين كانوا محظوظين مقارنة بإخوانهم في الأقطار العربية الأخرى، وتبوؤوا مكانتهم الدراسية على رفوف جامعات بريطانيا، وفرنسا وإيطالية وغيرها، فتشبعوا من منابع الثقافة الغربية، وأدبها ونقدها، وقارنوا بينها وبين اللغة الأم التي هي حال لسانهم الكتابي التعبيري اللغوي والأدبي. ولم تذب شخصياتهم في ظل الحضارة الغربية، أو يتصلوا عن عقيدتهم وعروبتهم، وبعد إطلاعهم على الحضارة الغربية، وأخذ ما هو مفيد وكاف منها، وبخاصة في الجانب الفكري عادوا إلى أقطارهم العربية وهم عازمون على الوفاء بتأدية الأمانة التي تنتظرهم. كان هذا الرّعيّل الأول من اللّغويين العرب الذي عاد من جامعات كبريات عواصم غرب أوربا في منتصف القرن العشرين، قد رفع شعار التّجديد في البحث اللغوي العربي، وجمع بين الأصالة والمعاصرة، ورأس الأصالة عنده الاعتزاز بالتراث اللّغوي العربي، وإعادة إحيائه، ودراسته وفق منهجية علمية لغوية كالتي تسير عليها الدراسات اللّغوية العربيّة، وهذا لإزالة كل التّهم التي ترى أنّ البحث اللّغوي العربي عقيم وجامد، فكان لزاماً على أبناء هذا الجيل الدفاع عن الأصالة بحجج وأدلة مقنعة ودامغة مثلما دافع عنها بالأمس أسلافنا أمثال : الجاحظ عندما اشتدت نار الشعوبية، ومثله ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٣هـ) ودفاعه عن الإسلام رغم أصله الفارسي، وغيرهما كثير.

وكان اهتمام اللّغويين المحدثين والمعاصرين العرب باللّغة العربية بالغ الأهميّة عميق الدّراسة في جميع المستويات من نحو وصرف، وفقه اللّغة، وصوتيات ولهجات، وقراءات، ودلالة، ومفردات، وبلاغة وموسيقى، وتحقيق المخطوطات التراثية وغيرها، كلّ ذلك كان شغلهم الشّاغل في دراساتهم

وأبحاثهم اللغوية. كما كانوا الرياديين في رفع لواء راية التدريس الجامعي في كل الجامعات والمعاهد العربية، فأسهموا في الإشراف وتأطير البحث الأكاديمي لآلاف الطلبة، ومن بين هؤلاء العلماء الكبار:

1- الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي، ٢- والأستاذ الدكتور محمود السعران.

3- الأستاذ الدكتور تمام حسان، ٤- والأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس.

5- الأستاذ الدكتور محمد المبارك، ٦- والأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي.

7- الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين، ٨- والأستاذ الدكتور كمال بشر.

9- والأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، ١٠- والأستاذ الدكتور عبده الراجحي.

١١- والأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي، ١٢- والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

وغيرهم، والقائمة طويلة. ولم يبق على جيل القرن الواحد والعشرين إلاّ تحمّل الأمانة، ومواصلة الاستمرار على نهج أسلافنا وعلمائنا ومفكرينا الأخيار الذين ذلّلوا لنا طريق البحث، وأناروا لنا دربه، والمواصلة على نهجهم أمر ضروريّ في مختلف المجالات الفكرية واللغوية والأدبيّة و

البحث اللغوي الغربي والعربي
عبر التاريخ
فكر وإبداع

العلمية والتكنولوجية ؛ لأنّ العصر عصر البقاء للأقوياء في هذا الزمان، وفي هذه العقود الأخيرة من القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. وما توفّيقني إلاّ بالله.

هوامش القول

(1) لسان العرب لابن منظور ٣٧١/٩ ، نسق وعلق عليه ووضع فهرسه علي مشري، دار إحياء التراث العربي، ط٠١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت،

(2) علم اللغة وفقه اللغة تجديد وتوضيح ص ٩-١١، الدكتور عبد العزيز مطر، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ١٩٨٥م، ومناهج البحث العلمي، وطرق إعداد البحوث، ص ٩-١٠، د/ عمار بحوش، د/ محمود الذنبيات، ديوان المطبوعات، بنعكنون، الجزائر، ط٠٢، ١٩٩٩م.

(3) م، ن، ١٢/٢٩٩ - ٣٠٠.

(4) الخصائص ٣٣/١، لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية.

(5) علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية ص ٣١٢ د، محمود فهمي حجازي.

(6) م ن، ص ٣١، ويراجع كتابه "علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة" ص ٧، الدكتور محمود فهمي حجازي دار غريب للطباعة والنشر التوزيع.

(7) علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح ص ١٩.

(8) البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ص ٦١، تأليف الدكتور أحمد مختار عمر، ط ٠٧ عالم الكتب، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٢٥٨، الدكتور محمود السعران ط ٠٢، ١٩٩٧م دار الفكر العربي.

(9) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين ص 83، تأليف جورج مونين، ترجمة الدكتور بدر الدين بلقاسم، دمشق ١٩٧٢م.

(10) المرجع نفسه ص ٩٣، ودراسات في علم اللغة الوصفي، والتاريخي والمقارن، ص ٣١، دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(11) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٢٦٨.

(12) مبادئ اللسانيات ص ١٨، أحمد محمد قدور، ط ٠٢، ١٩٩٩، دار الفكر المعاصرة بيروت لبنان، دار الفكر دمشق، سورية.

(13) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ٢٧٧، محمود السعران، ومدخل إلى علم اللغة ص ٢٩٩، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، القاهرة.

مصادر ومراجع المقال

- 1- البحث اللغوي عند العرب، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٧.
- 2- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، جورج مونن، ترجمة د/ بدر الدين بلقاسم، دمشق ١٩٧١.
- 3- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- 4- دراسات في علم اللغة الوصفي ، والتاريخي والمقارن، دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
- 5- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، د/محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر.
- 6- علم اللغة، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، د/ محمود فهمي حجازي.
- 7- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د/ محمود السّعران، دار الفكر العربي ١٩٩٧م، ط٠٢.
- 8- علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح، د/ عبد العزيز مطر، قطر ١٩٨٥م.

- 9- لسان العرب ابن منظور، نسق وعلق عليه ووضع فهارسه علي مشري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت،
- 10- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دمشق ١٩٩٩، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، القاهرة.
- 10 - مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، القاهرة.
- ١١- مناهج البحث العلمي، وطرق إعداد البحوث، د/ عمار بحوش، د/ محمود الذنبيات، ديوان المطبوعات، بنعكنون، الجزائر، ط ٢، ١٩٩٩م.